نورالدين حنيف أبوشامة

سيبَويْه في عباءةٍ خَضْراء

نورالدين حنيف أبوشامة

سِيبويْه في عَباءَةٍ خَضْراء

إضمامةٌ في قصيدةِ النثر

- نورالدين حنيف أبوشامة
- من مواليد مدينة الدارالبيضاء\ المغرب
- عضو في الجمعية الوطنية لصقارة القواسم
- خبير وطني في رياضة الأيكيدو
- مهتمّ بمجال الإبداع و الفنّ التشكيلي
- باحث في التربية و الفكر و الأدب
- لوحــة الغــلاف مــن إنجــازي بعنــوان(تشــاكلٌ عبثي) أكريليك على خشب.

Abouchama24hanif@gmail.com

إهداء

***

إلى روحٍ تسبحُ في جلالِ الجمالِ و في جمالِ الجلال،
تقضِمُ كلَّ صباحٍ من وجْنتيْها خدّاً أو خدّيْن... تُطْعِمُ
جوْعتِي وترْوي عطشِي إلى معانقةِ فكرةِ الموتِ في
حلّتِهِ النبويّةِ الشرِيفَة.

إلى "سين"
الأيقونَة النّادِرَة الّتي لا تموت.

***

إضاءة لابدّ منها:

عَنونْتُ الإضامةَ و وسمْتُها بـ(سيبويه في عباءة خضراء) لحاجةٍ في نفسي و قد تُراوِد أنفُساً أخرى.
و قد لجأْتُ إلى رمزٍ من رموز التراث العلمي، و شخصنْتُ الاستعارة في علَمٍ من أعلامِ النحو العربيّ تيمّنا بعلمه و استئناساً بسهمه. و الأمرُ يتعلق باللغويّ الجهبذ "سيبويه". و حضوره في هذا السياق لا يعدو أن يكون علامةً دالّةً تشذبُ من شجرِ أخطائنا و تقلص من أوراقِ هناتنا. و تنبّهنا إلى حجم العطب في تراكيبنا العربية و نحن نقضم من سماحتها قضماً قد يشطّ بنا إلى ما وراء الاستعمال المسموح في حدود المباح.
و ما دمتُ أنظمُ الشعر باللغة العربية، و أنا القاصرُ في حِماها قصورا بائناً بينونةً كبرى، رأيتُ أن أستدعيَ كل قارئٍ يمتلك قدراً من الشّبَه بسيبويه، و رصيداً من التحكّم في نواصي اللغة العربية العزيزة على قلوبنا، و نصيباً من الاستئناس

في دوحه العالِم ببعضِ فيْحِه الصائب، أن يتقمّصَ روحَ شخصية "سيبويه" كي يمارسَ على لغتي وتراكيبي و اجتهادي بعض الرقابة. خاصّةً و أنّنا كلّنا يسكننا بعضٌ من " سيبويه" .

ثمّ ألبستُ هذا القارئ المدقّق في اللغة عباءةً خضراءَ طلباً لبعضِ السماحةِ في رقابته، و التماساً منه أن يقتربَ و هو يدقّق فينا و في هذيانِنا، من تخومِ التفهّمِ الأخضرِ كي يتجاوز عن بعض الأخطاءِ وبعض الهنات، و عن بعضِ السهوِ في تعاطينا مع اللغة العربية العالية... فكلّنا خطّاؤون، و خيرُنا التّوّابون...

غَزَليّةٌ تلِيقُ بك

كنـتُ أرسـمُ ذاكَ الْحَـوَرَ الْأَمْجَـدَ، بالكُحـلِ النّـاريّ بعيـداً عنِ الرّماد، إذ لا شَررَ يُخادِعُ الرّمادَ...

وَ في رَيْـثٍ جليـلٍ، كنـتُ خـدّ السّـماءِ أَلْـثُمُ، وَ كُنـتِ أنـتِ الفارِهةَ في خيمةِ روحِي، كنْتِ ذاكَ الْعِمادَ...

لا لَـوْنَ للْحُـبِّ إذا مـا جيـدُها الْأَيْهَـمُ دَعـانِيَ صَـلِفاً أَمْتَطِـي شوْكاً و قتادا...

كــلّ الْحُــبِّ امْــرأةٌ إذا مــا فُؤادُهــا الْأَرْقَــمُ عَضّــني... خَاصَمَني وَ الْوِسادَ...

ســؤالي فيــكِ: كــمْ شَــعْرُكِ الْأَفْحَــمُ حــاكى فَرعَــكِ الشّرِسَ؟ و قدْ جاوَزَ السّوادَ...

وَ كـمْ أسْـلو أنـا ؟ و ثَغْـرُكِ الْباسِـمُ لا يَنِـي يُـرَوِّضُ فِيَّ ذاكَ الْعِنادَ...

لَيْـتَ شِـعْري، وَ وَدِدْتُ لـوْ هَـذي الْأنْجُـمُ السّـاطِعاتُ في عَيْنَيْكِ، كانتْ صَيّادا...

الْحـوتُ البَـرئُ أنـا، و مِنْـكِ أنـتِ الْمَبْسَـمُ، طُعْـمٌ في احْتِيالِ الماءِ، يَغْتالُني ارْتِيادا...

و لِرَيْـثِ الطّـاووسِ غـنْجُ التثّنّـي وهْـوَ الْمُـنَعّمُ... مِـدْتُ كلّي و جُلّي... حينَ مادَ...

شَـحّتْ بِالْوِصـالِ وَ هِـيَ الْهَجْـرُ الـدّائِمُ... وكنـتُ في اللّقـا، مِدْراراً جَوادا...

فَهـلْ لِـي مِنْـكِ بِرَمْقَـةٍ أحْيـا بِهـا... وأحْسِـمُ. إنّ هَـذا النّزيفَ رعَفَ الْمِدادَ...

...

حَافيةٌ على ضفافِ قَافية

هــذا الْمــوتُ لحــنٌ غَرِيــب. يُكسّــرُ فـي سَــمْعِي كــلّ مجـازاتِ الضّـوء... يُحِيلُنـي خَريفـاً مـن بلّـورٍ. يبْحـثُ عـنْ بلاغــاتِ الْعِطــر وعــنِ امْــرأةٍ تغتَسِــلُ بــالْفجْر. تمْشِــي حافِيــةً عَلـى ضِـفافِ قافِيــة. غازَلَهـا الطّـينُ ثُـمّ صَـاغَها ورْدَةً منْ عيْنِ الشّمْس.

كُنــتُ طيّبــاً حــدّ الْبلاهَــة. ألْــتَقِطُ للْمــرْأةِ و الطّــين صــورَةً تِذْكارِيــة دونَ أنْ ألْتَفِــتَ إلـى اللّحْــنِ الْغَرِيــبِ فـي ثَغْــرِ الْموْت.

...

هوْدَجُ الْماء

هــوْدَجُ الْمــاءِ يَسِــيرُ و الْحــادِي نَغَمــاً أثِيــراً يسْــرِقُ الرّفْرَفاتِ الْعاشِقاتِ منْ سَاحِ الْيَاسَمِين.

يُســائِلُ الْخِـدْرَ الْمكْنُــونَ: مــنْ تُقِـيمُ فيــهِ؟ هــلْ ســيِّدَةُ الْجُرْحِ أمْ سيّدَةُ الْيَقِينِ...؟

و فِي كِـلا الْعِنـاقَيْنِ، نبَـتَ فِي صَـدْرِي سُـؤالان: هـلْ أدْخُـلُ الْجنّــةَ أمِ الْجنّــةُ فِي خــافِقِي تلُــمُّ شَــتاتِي الْمُفَــوَّضَ فِي رَســائِلِ وَفــاتِي؟ و ترْسُــمُ لِــي قَصْــراً شــيّدَهُ رَمْــلُ الْعارِفِين...

أمْ أنّ عَـدْنَ الْخُلْـدِ في صَـدْرها و فِي خَلَـدِها شـيءٌ منِّــي يصْـنَعُ فِكْـرَةَ التّوْأمَـةِ. يُرْضِـعُ الـرّوحَ إلى الـرُّوحِ بِحلِيـبِ الرِّيحِ... و يُسَمِّي الْمَوْلُودَ الْعَتِيقَ هَيُولَى الصّالِحِين.

قَـدْ كُنـتُ نسْـياً منْسِـيّاً فِي أزْمِنَتِـي الْعمْيـاء. أرْسُـمُ بِيـراعٍ من صَدىً... زُقاقاتِي الْمرْمِيّة فِي عبثِ الْعابِثِين.

حتّــى طلَــعَ الْبَــدْرُ مُغْرَمــاً بِــالْوردِ فِـي مُحيّاهــا اللُّجَــيْنِ، سَــقانِي مــنْ رَوْحٍ وَ رَيْحــانٍ كُــؤُوسَ الضّــوْءِ فِـي أنْخــابِ السّالِكِين.

ثَمُلْــتُ و لــمْ أدْرِ حــدّها. كانــتْ ثُمالَــةً تسْــقِي خَــدّهَا. شَــرِبْتُ حتّــى انْتشَــيْتُ فــاحْمَرَّ مــنْ حُمْرَتِهــا حــرْفُ كأْسِــي. تألّــهَ رَأْسِــي، فَعبَــدَتْنِي جَــوارِحِي و كانــتْ مــنَ الطّائِعِين.

و لمّــا سِــرْتُ إلــى الشّــجرَة سَــبَقَتْنِي التّفاحَــة إلــى الصّــعودِ الْسّــرمَديّ، تقْضِــمُ مــنْ الْوجْنــةِ قضْــمتَيْنِ: واحِـدةٌ لِتـارِيخِ الْقُبـل و ثانِيّـةٌ... تسْـتجْدِي لحْـنَ الْمُقـل... قلْـتُ و أنَـا الْغـارِقُ فِـي لَذِيـذِ السّـفَر: هـلْ أطْعَـمُ مـنْ جسَدِ الثّمرَة أم أكْتفِي منْها بِالرّنين؟

ترنيمة العينين

يـا ناعِسَـةً فِي أزهـارِ الشّـمْس! خُـذِي حفْنـةً مـن نُـور. مِـنْ جُنُونِ هذا الطّقْس، يَخْشعُ فِي ظلالِ الرّوحَيْن...

انْثُـرِي فـوق جَسـدِي بَرَكـاتِ الْعِشْـقِ الْأبَـدِيّ. فَلَسْـتُ أدْرِكُ مِساحاتِي إلّا داخِلَ ترْنِيمَةِ الْعيْنَيْن.

فَهـلْ تَطْلعِـينَ مـنْ دَمِـي؟ أمْ أخْـرُجُ يابِسـاً مثْـلَ غُصْـنٍ نَبَذْتْهُ الصّفْصافَةُ الْعَزْلاءُ فِي جمْرِ السّالكين؟...

شجرةٌ راقصة

أُشْــعِلُ نــارَ الْيَقِــينِ فِـي أَصَــابِعِي الْهَرِمَــة... أتسَــلّقُ الشّــجرَةَ الرّاقِصَــةَ مثْــلَ طفْــلٍ قَمَــرِيّ. أغْمِــسُ قَلْبِــي الظّــامئَ فِـي نسْــغِها الْجلِيــلِ... أجْتنِــي ظِلَّهــا الْعــالِي، أشْــرَبُهُ. فَيَــذْبَحُنِي الْعَطَــشُ الْخــالِي. أحْمِــلُ بَعْضــاً مــنْ ظِلِّهــا الْمتَبَقّــي فِي كَفِّــي الْمُتَشَــقِّقَة، و أفِــرُّ إلى أعْلَى الصّفْصافَة.

أعَــانِقُ قُنّتَهــا مُأجّجَــةً بِالرُّؤْيــا. أجِــدُ تــاجَ الشّــعاعِ و لا أجِــدُ الظّــلال. أحْــبِسُ أنْفاسِــي خَشْــيَةَ أنْ أفْقِــدَ حَفْنَــةَ الْجــلال فِي كَفِّي الْعَنِيدَة.

أمُــدُّ يَــدِي إلى النّــورِ، أسَــلِّمُ طُقُــوسَ الْفَجْــرِ إلى الشّــمْسِ الْمُتوّجة... ثمّ أنْزِلُ وَ فِي قَبْضَتِي قَصيدَة.

هَــا حُرُوفُهــا. طَــيْشٌ سَــاذَجٌ، يُلاحِــقُ الْفراشَــاتِ فِــي فَلْسَفَةِ الدّخان. يُطارِدُ أجْنِحَتَها فِي رَمْلِ الْبُرْهان...

ينـالُ مـنَ الرّفْرَفـاتِ غَيْمَـةً... سَـكرَتْ و ثَمُلَـتْ فعَرْبَـدَتْ. ثــمّ ضَــيّعَتْ فِـي أعْــراسِ التّحْلِيــقِ قَــرابِينَ الشّــمْسِ السّاجِدَة...

أخْــرُجُ مــنْ ظِلّــي الْأعْــوجِ و مــنْ ظِــلّ الصّــهِيلِ. ألمْلِــمُ أوراقَ الصّفْصــافَة وَ حُــرُوف الْقَصِــيدة. أمْــزِجُ الْعِطْــرَيْنِ معــاً فِي قــارُورَة الْوجـع. و أرْكـبُ دَفـاتِرَ الْعوِيـل... ثـمّ أرْقُـدُ فـي الْمعْنــى شــاعِراً فقَــد بَوْصَــلَة الْكــلامِ و ظــلّ عــنْ حبِيبَتِهِ السّبيل...

فمــنْ يضْــطادُ لِــي فِـي اعْتِقــادِ الْكلِمــاتِ و الْوُرَيْقــاتِ عَصــافِيرَ الــزّمَنِ الْجلِيــل، قبْــلَ أنْ يغْتالهَــا اشْــتِهاءُ النّــارِ و الْبَــوارِ و قُــبْحُ النّهــار؟ و قَبْــلَ أنْ يَسُــدّ اللّيْــلُ منَاقِيرَهــا عنِ الشّدْوِ فِي انْبِثاقِ الْمَواوِيل...

أنا طبيعيٌّ

يَرْقُـدُ فِي أطْلالي وحـشٌ. لا يَشْـرَبُ مِيـاهَ الْمـدِيح. يسْـخَرُ جَادّاً منْ أضاحِيكِ هَذي الصّباحاتِ الْبَلِيدة...
يُقَبِّـلُ الْخُرافَـةَ مـنْ قَفاهـا، و يثْمُـلُ عابِثـاً فِي سُـلافاتِ الْحَقِيقَةِ العنيدة.
أنَـا طبيعـيٌّ و مُنْهـارٌ، مِثْـلَ نَهْـرٍ يَجـوعُ عَطَشـاً، يَظْمَـأُ شَبعاً، فِي ولائِمِ الرّمادِ التّلِيدَة.
لـيْسَ لِـي عُشْـبٌ أخْطـبُ وُدَّه لِلْمِيـاهِ. وَ لا عسـلَ فـي ضِـفافِي سِـوى نِسـاءٍ ضـاحِكاتٍ يَغْـزِلْنَ الْوَقْـتَ الظّـامئَ فِي كاساتِ الدخانِ العتيدة...
يبكـين مـوتي كلمـا سـحّتْ في سـمائي غيمـاتٌ غيـر آبهـاتٍ بعشقي الوسنان و لا بنبضات فؤادي الوئيدة.

لا تَنْتَظِـرِي عَـوْدَتِي وَ لـوْ بَـدتْ أوْبَتـي رَكْضـاً أبْـيض. هـي الفسـيلةُ الأرجوانيـةُ تُقَشِّـرُ مَمْشَـاهَا عَارِيَـةً فِـي وَجْـهِ الرِّيح، وتحلم بيسقانِ السّنابِل.

فـلا تَنْظُـرِي أوْبَتِـي وَ لَـوْ سَـرَى صـوتِي سـفرَ أوبـةٍ تَرْكَـبُ نِهايَاتِي، جَارِيَةً فِي دَمِيَ الْجَرِيح، يرجو الْماءَ مَنَاجِل.

احْفَظِينـي عَـنْ طُهْـرِ قَلْـبٍ، اِنْتظِرِينـي عنْـدَ تُخُـومِ الْقَمَـر واحْكِينـي لِصَـبايا اللّيـل صَـباحاً مُنفلتـاً مـنْ حِكايـات الْعِشقِ الأغْبر، يحكي صفوةَ المناهل.

انثُرينـي حَصـاداً تائِهـا فـي قبْضـات الـرّيح الغَضْـبى، بعـضٌ منّـي علـى جبـل، والـبعضُ الآخـر فـي ميـاهِ النّسيانِ، عشْباً أسيفاً لحنينِ الأيائل.

يصـرُخان و يطلُبـانِ في قبضـةِ شـيخٍ لـم يخـتِمْ حصّـتهُ في التــرانيمِ، و ســالَ انســياباً فـي جلَيــلِ الــوطر... يرســمُ بحبرهِ الصّوفيّ طواسينَ الحيارى الأوائل.

كيفَ دمِي يشيخ ؟

كيْـفَ يَشِـيخُ دَمِـي إذن وَ نِصْـفُ جَسَـدِي إشَـارَة؟ كيْـفَ يَشِـيخُ، واللّهُ نحَـتَ الْمـاءَ فِي صَـدْرِي حَـدائِقَ بِشَـارَة ؟ كُنْـتُ أنَـا الْـوَرْدَةَ وَ كُنْـتِ أنْـتِ إزْمِيـلَ ضَـوْءٍ، يرْسُـمُ الشّـجَرَ أعْراسـاً وَ يَـدْعُو اللّهَ أن يمـدّ في عمـرِ دمـي حتّـى إشـعارٍ آخرَ، يقطنُ في ضوعِ الْبِشارة.

قبلةٌ استثنائية

انْتشَــى النّهــرُ خبيــراً بالْفراشــاتِ لا تنْمــو علــى ســطْح الْبحــر. و فــي كــلّ مــرّة يضــحكُ لامــزاً فراشــةً تــرومُ أنْ تغْسِــلَ وجْههــا فــي تخْمَــةِ الْعســل و قــد قضــى منهــا بعضَ الوطر.

قلــتُ و أنــا المشــدوهُ لانْفــلاتِ الْجمــال: ســأبْدأ صــباحِي بالصــلاة. أُهــرِّبُ ينــاع الْأجنِحــة إلــى محاريــبِ الرّشــاقة. فالفراشــات كائنــاتٌ ممتــازةٌ تضــيقُ بالرمــاد كمــا تضــيقُ بكسلِ الحجر.

سأرْسُــمُ علــى خــدّ اللقــاء قُــبلاتٍ مــن كــوْثَر. أسَــيِّجُ بِهــا وجنــةَ أنثــايَ. قبلــة علــى خــدّ فراشــة و ثانيــة علــى خــدّها الأيسر، و ثالثةٌ تخزنُ الفراشةَ في قلبِيَ القَمَر.

إضاءة

ما من كائن يعيش عزلته،

ويستلذها بامتياز مثل البحر.

...

أعشــقك أيهــا المــدى الأزرق مثــل عبــاءة شــيخي الممتــدة ظــلالا علــى ثمالتــك في كــؤوس الشــهوة. فــلا تنتحــرْ في رغــوة الرجــوع أيهــا العاشــق للشــمس. ولا تتســتّر علــى بوحــك، علــى روحــك وهــي ترتحــل في استعاراتِ الماء...

غريــب أنــت، غريــب أنــت، وموجاتــك مبهمــةٌ كــالأزل، جدليةٌ مثل صمت، عاريةٌ مثل سماء...

أنــا يــا ســيدي لــم أكفــر بــك يومــا ولــو أن شــفتيك مقــدرتان للتيــه ورأســك للعشــب الأخضــر... غــورك

للـذئاب تتوثّـب علـى الصـحو و تقضـمُ مـن سـداكَ كـلَّ هذا السّواء...

فـلا تحـدثني، سـيدي عـن الموجـة تغـازل خـدك قبـل أن تسـافر مـن قـدر المـاء إلـى أسِـرَّة الأطفـال وحكايـات الجـدّات تغـزلن الليـل صـمتا مثـل هزيمـة آثـرتْ علـى النصر المُبينِ هُزالَ البقاء...

...

شعاعٌ مُدلّع

لـمْ يعُـدْ هـذا الشّـريانُ وهْـو الْمُتـدفّقُ خُضْـرَةً قـادِراً على الْكتْمـان. و لـمْ يَعُـدْ هـذا الطّيْـرُ مصْـنوعاً مـنْ ذاكِـرَةِ الضّـوءِ قـادِراً أنْ يُحلّـقَ في السّـماءِ الْبـارِدَة في غيْبَـةِ النّجْمَةِ الشّارِدَةِ.

أمّـا أنـا، موْسُـوماً فـي التّراتِيـلِ المُضَـمّخَة بخشـوعِ الصّـمْتِ، فَيَكْفِينـي منـكِ سِـحْرُ الْمنْفـى في قلبِـكِ أيتُهـا الْماشِيةُ على قلبِي شتاءً و صيفا.

و يكْفِينِـي أنّنـي إذا عِشْـتُ، سـأرْقُدُ في عـيْنِ الشّـمسِ. أصـنعُ مـنْ شُـعاعِها المُـدلّعِ كفنـاً لِـي. أحنّطُنـي في محافـلِ الْملـوك، و أنـامُ في قلـبِ التّـارِيخِ ذاكِـرةً مـن نَهار.

أصـنَعُ لِعَينَيـكِ عُرْسـاً مـن غـابِرِ النّجْمـاتِ و حفْـلاً مُقَنّعـاً، تزْقُصُ فِيهِ النجماتُ في صدورِ الأقْمار...

و مــنْ أجْلِــكِ أنــتِ أيّتُهــا الْواقِفَــةُ علــى شَــكْلِ دَمِــي. ســأغيّرُ لــونَ الموْجــاتِ، و أزوّجُ بــاذِخَ الْغَيْمــاتِ إلى غــوْرِ الْبِحار.

ســأقْتلِعُ منّــي ذاكَ الرّجــلَ الْمُجلْجِــلَ فــي الغــاراتِ. وأكْتفِـي منّـي بـذاكَ الطّفـلِ، ينـامُ على صَـدْرِكِ، يعُـدّ كـمْ فِـي وَجِيبِــكِ مــن دقّــاتٍ، مــنْ نبْضــاتٍ، مــن آهــاتٍ... لا يعْلَــمُ سِــرّها إلا عَقْلِـي الْمَنْثُــور في يــديْكِ الْمُخضّــبَتيْنِ بغوْتِ الزّنْبقاتِ و الْياسَمين.

ســأَلْثُمُ خــدّ الْقَمــرِ مــنْ أجْلِــكِ، و مــنْ أجْلِــكِ ســأفرّ إلى قلــبِ السّــماءِ. سأغسِــلُ وجْــهَ السّــنْبُلاتِ مــنْ شَــرَكِ الْأتْرِبــة، و أمــرّرُ خطــابَ الْمحبّــةِ بــيْنَ الْعصــافِيرِ والأغْرِبَــة، وأنْتشِي كما الْودقُ يداعِبُ تُرابَ الصّباحِ...

جهاتي الأربعة

مـن تعجـن جهـاتي المشـرّدة في قـوارير المـوت؟ غيـر امرأةٍ تقبض بيقينِ الأنبياء على نشيجِ الحياة.

أذكـرُ سـابقاً و أزلاً، أن دمِـي سـاعةَ انبثاقِـهِ في جـوفِ القصـيدة غسـلتْهُ فراشـةٌ بيضـاء، نزَحَـتْ مـن قلـبِ الرّنين.

صـاغَتْنِي أولاً جنوبـاً يعشـق فـي توقيعاتِهـا كُعـوبَ التـراب... و ثانيـا شـمالاً يعـانق فـي شـفتيْها فلسـفةَ السّـحاب... و ثالثـاً شـرقاً يمتطـي صـهوةَ الغيـاب... ورابعـاً غربـاً تلقّنُـهُ الصّفصـافةُ دروسَ الظـلّ ومـواعِظَ عارفٍ يكتبُ عشقَه المُستحيل على جرِيد الضباب...

تأويل الريح

يــرفض ظلــي أن يتبعنــي. يُحكــم قبضــته المســتعارة مثـل ريـح صرصـر. يرمينـي بحجـر إلى الضـفة الأخـرى. يركض بعيدا عن نرجس النهر...

يخشــى مــديحي، فيهــرول علـى محيّــا الرمــل. تبقــى منــي روحٌ، أســقط فـي تأويلهــا، فــأراني فرْقــداً مُضــاءً باللهب...

وأرانـي شــكلا مــن الحاضــر، وقــد أرْخــت علـيّ امــرأة الخـوف شـعرها المرسـل، مثـل أجنحـة بلّلهـا القطـر، ثـم اغتسلت بالشمس، قبل أن يدركها الموت.

وأنـا، منفيّـاً في الجفـن النـاعس، أقتـاد حبـري في المتـاه. أُسـلس البـوحَ نحـو حبـري. فـإذا الحبـر يشـتكي بطـشَ الماء...

وعلـى رأســي ســماء، إكليــلٌ مــن الضــوءِ يحتضــن حطامي اللزج.

من أنا...؟ و من أكون؟

لملمـت أنقاضـي وشـتات تناقضـاتي مثـل أيـام تقـرأ في أســمالها ســقوط التــين مــن شــجري فـي خضــرته العمياء.

وعلى غوايـات المـديح، كنـت نحاسـاً وكنـتِ أنـتِ لحظـة امتشاق. مزّقتِ المواثيق وجئتِ بأخرى من الزعتر.

مـن مكـان لمكـان، مـن حجـر لحجـر... حاصـرتِ حصـاري بخيــوط مــن ريــح. وختمــتِ ســيرتي البلهــاء علــى وسائدك المترعه...

أخمدتِ نارَكِ ثمّ أضْرمتِ ناري

عناق

يطبِـق الظـل اليقظـان علـى أعنـاق الـورد. يسـافر الغـيم خفيفـا علـى أسـرة البـوح. والمسـاء يـركض سـارقا لُذاذات النبيذ المحرم.

يـزاحم الليـل في انتشـاءاته الحـرّى. يعطـل النهـار، يـؤخر مواعيـده. يتواطـأ و الطـلّ، يرسـم علـى هـواه خـرائط الوقت دقائقَ بطيئة... أبطأ من فؤاد أم موسى.

يرمـي الفجـر في مرايـا الانتظـار، وأنـا أرنـو إلى الهـوى تلفـه القـوارير، مرمريـة الانكسـار، تغتسـل تحـت انثيـال الضوء... مكيدة، تفتح غواية المتاه.

يغزلُنِـي نَسـغُ الفرحـةِ الْبِدائيّـة هُبوبـاً. انطـوي علـى هيولى التكوين...

لــن أرشــق الأفــق بــالحجر. لــن أشــق القلــب كــي أســتخلص الــرنين. ولــن أوثــق مســاءاتي الجامحــة، فالوقــت أنــا... والوقــت هــي... والتــرب أنــا... والتــرب هي...

فمــن قــال إن الأرض جمــاد؟ ومــن قــال إن الطــين عاطــل عن اللثم ؟ ومن قال إن المياه تتيه عن شموسها ؟

...

تماثيل

أمـا آن لـك يـا قلـب أن تسـتريح مـن الـنقش علـى تماثيل البهاء الكاذب؟

لـن تصـرخَ النُّصُـبُ في وجـه الـريح ولـن يرتفـع زهـوٌ، هوالفراغ ذاته.

قـرون الوعـل تتشـظى علـى صـفيح الظـلام. الطـواويس هبـاءٌ و أقنعـة للبيـان. نهـارات بائـدة. والأغـاني ارتعـاد مخمليّ.

فكـم تبقـى فـي الياسـمين مـن خطـو إلـى فقـهِ الجسـارة...؟ وكـم تبقـى في النهـر مـن ضـفتيه كـي يطوي هذا اللهاث على رحلات الظلام ؟

فـاعلم يـا قلـب أن قلـيلا منـي وقلـيلا منـك وجلـيلا منـا يهـب الهبـوب صـليله، يبـدد حصصـنا مـن اليـأس

الــرابض علــى أفواهنــا، يقتلــع الشــرود مــن أهــداب الوقــت ويضــمنا جميعــا فــي خــوض الطــين والمــاء، وعناق السماء...

فــي شــهوة الســنابل تتلألــؤ علــى هاماتهــا ومضــات المناجل.

سنابل... سنابل... سنابل...

شرقُ الروح

يوشك شكلك الشفيف أن يغمر لسانَ الموجِ في لذة البحر. فلا وقت للأسطورة، و جسدك العائم في استعارات الماء يسرق الجمال و الجلال. يسرق الخيال، يغمسُ فساتينك الثملة في عمق اليمّ، يقترضُ عتْمته الغابرة، يلوّن بها ثنيات الروح والمرايا...

إذن، هي روعةُ النبضِ في جنابِك... أنتِ كشفٌ عارفٌ بشرقِ الروح وغربها، فعجّلي يا سيدتي بحصار هذا الترنح الضاحك في شفتيك و في عينيك حتى جنوب الإشعار...

مثل دخان

مثـل دخـان، حملـتُ عكـازي الأعـور ورحلـت عـن لغتـي. لـم تعـد شـرفتي تطـل علـى جـارتي. سـمّر خشـبَها الزمـانُ وماتـــت ريحـــانتي... هكـــذا اســـتبدلت بالرمـــل كـــل أجنحتـــي ورحلـــت ثانيـــة، ألـــتمس مـــن ســـيدي البحربعض سطوتي.

البحـر ذاكرتي. و هـي كانـت أجمـل مـذكراتي. كنـت أغـزل لهـا مـن موجـه العنيـد جنـان خلـدها و أرسـم لهـا علـى مائه بعض آهاتها و كثيرا من آهاتي...

...

آخر موجة

سيدتي!...

لـن أختصـر حضـورك الـوردي في شـباك الشـهوة. فأنـا لا أقبـــل أن أغلـــق البـــاب علـــى انســـياب الرمـــل، ولا الشـرفات على حـديث الريـاح... أحبّـك في الشـمس وفي قلبهـــا و جوفهـــا. و أمـــجّ فكـــرة الظـــلام و هْـــيَ تقـــض مضـجع الحكايـات... أحبّـك في سـمتك الخرافي... أنـت لـي و أنـا لـم أكـن إلا ذاك الشـعاع الهـارب مـن فـم العشـق إلى قلـب العشـق... فـاذكريني بعضـاً منـك إذا مـا جـار الزمـان على ضـوئي... اذكرينـي ثـم أغلقـي بـاب الرمل على آخر موجة تنكسر في شاطئ منسي.

...

الجديدة فبراير 1998

وهذا العشق المنسي يكره المنطق، يلغي البرهان.

خطـوٌ فـي مُحيّـايَ و إبحـارٌ يطـرّزُ ذاكرتـي. و فـي زوارق الأكـف تبـدو تلويحـاتُ اللـثم و القبـلِ الْمسـتحيلة كسـوْرَةٍ معطّلَـةٍ في جسـدِ أسـطورة... وفيهـا انْتصـبتِ المناديلُ، و كانتِ المناديلُ لِشرودنا أجدرَ عنوان.

الجنـونُ حـارسٌ جميـلٌ علـى عيـون الشـمس. و سوسـنة الأنوثـة ترقـد في خـدر الضـوء. أمـا اشـتعال الـرأس نـوراً وناراً فانكسارٌ مؤقت للظل العرْيان...

أنـا مجـرّدُ لحظـة، و أقـلُّ مـن بُرهـة. تـرقص علـى انكـواء الأزمنـة. فتقبلـي سـيدتي منـي هـذا الصـدر خبـزاً لخرافـاتِ ثوبـك المطـرز بالصـحو، كـي أمـوت قريـرالعين علـى مـتن دفـاتري، الأخضـرِ صفصـافُها موتـاً مباركـا مـن

يــديك المخطــوطتين بهــذا الانصــياع المــاكر اللذيــذ...
اللذيذ... اللذيذ... الوسنان.
...

كانَــتْ مِــلْءَ بَصَــري إِشــارَةً لِلنَّــدى و احْتِفــالاً شــارِداً بِالظّـلّ في سَـوْرَةٍ تَخْطُـو عَلى وَتَـر. وَكَـانَ الْمَكَـانُ عُشْـباً مُثْخَنـاً بِالْقُبَـل... فَمـا شِـئْتُ أَنْ أُوقِـظَ الصّـباحَ مِـنْ لَذِيـذِ الْوَسَن.

رَمَيْـتُ بِـدَلِيلِ عِشْـقِي وَراءَ ظَهْـرِي، ثُـمّ عَانَقْـتُ فِي دَمِـي وَمِـيضَ الْجُـرْحِ. و كـان قـدِ انْـدَفَنْ... وَسَــنْ... وَسَــنْ... وسَنْ...

...

وَجْدُ الْوَاصِلِ فِي خَدّيْهِ

مَـاءٌ يَلْـبَسُ رِداءً أَخْضَـر، يَنْسُـجُ عَلـى وَجْـهِ الـرّيحِ صُـوفِيتَهُ الْواقِفَـة... يَتوَضّـأُ بِنـدَاءِ اللّيْـل وَ يَتبَتّـلُ بِطَلّـةِ الْفَجْر.

يَنْبثـقُ وَجهـاً عَاريـاً مـنَ اللُّهـاث. يُطَـرّزُ صَـلاتَهُ فَراشَـاتٍ مَمْشُوقَةً و زَغْردَاتِ سماءٍ مُؤنّثَة.

تُشْـرِقُ عَلى عَـيْنِ الْوَاصِـلِ شَـمْسُ الْوِصَـال، تَغمـرُ رُوحَـهُ بِـدَمْعِ الْوُصُـولِ: خَـدّاً مُخَضّـباً بِحِنّـاءِ الرّغْبـة، وَ خَـدّاً مُضَمّخاً بِدَمِ الرّهْبَة.

وَ بَـيْنَ الْمَسَـافَتَيْنِ، وَقَفَـتْ عَـيْنُ الله عَلى قَـرَارِ الْحُلـولِ. ولَمّـا انْتـزَعَ الْمـاءُ بُرْدَتَـهُ مِـنْ عَلَـى ظَهْـرِه بَكَـتِ الـرّيحُ فَرْحَـةَ التّوَحّـد. رُوَيْـداً رُوَيْـداً حَتّـى انْتَفَـى الْعَـدَد، وَ حَـلّ الْواحِدُ فِي نَسْعِ الْوَاحِد...

هِيَ كمَا وَصَفَها اللّيْل

رَأيْتُها تمْشِي،
على عيْنِ الصّبْحِ عُشْباً
أَضْناهُ هَمْسُ النّايات.

وَ رَأتْنِي لَيْلاً ضامِراً،
يَلْبَسُ الْخيْلَ صَهِيلاً،
وَ يُغنّي قُبَلَ اللّيْلِ زَغْرَدات.
...

هُوَ فِي عَيْنَيْهَا

وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي عَيْنَيْهَا مَاءً يَلْبَسُ رِداءً أَخْضَر. يَنْسُجُ عَلَى وَجْهِ الرّيحِ عِشْقَهُ الْواكِف. يَتوَضّأُ بِنَدَاءِ اللّيْلِ وَيَتبَتّلُ بِطَلّةِ الْفَجْر... يُطَرّزُ صَلاتَهُ فَراشَاتٍ مَمْشُوقَةً بِزَغْردَاتٍ مُؤنّثَةٍ وَ أَكُفٍّ مُخَضّبَةٍ بِوِلادَةِ الشّمْس.

...

سَمْراء

هـــذهِ الصـــبيّةُ الْعشـــتاريّةُ السّـــمْراءُ و الْمُنْتَحِلَـــةُ شَخْصِـيةَ السّـرابِ، تَسْـرِقُ الْخَيْـلَ مـنْ عَيْنـي و تتْـرُكُ كَفّي ضَامِرَةً مثْلَ نَهارٍ شَتْويّ.

تُكسّـرُ الـرّكْضَ علـى جَمْـرِ الْمَرايَـا، وَ تُشْـهِرُ في وَجْهِـي التّـاريخيّ رائِحَـةَ الصّـباحِ الْخـارِجِ تـوّاً مـنْ حمّـامٍ يسـتحِمُّ فيه الْفجْرُ بعيداً عن أعينِ الملأ...

قُلْـتُ وأنـا أَلْعَـنُ جَسـارَةَ الْمـاء: كـمْ سِـنّكِ يـا سـيّدَتِي؟ قالـتْ... جِئـتُ مـنْ زَمَـنِ السّـفِينَة، لكـنْ أخّرَتْنـي في بَطْـنِ أمّي الْحِكايات...

...

نُزْهَةُ الْإِشارات

فِي لَمَـاكِ تَـرْتَعِشُ شَـهْوَةُ النَّهْـر. أَهْجُـرُ الْـبِلَاد فتَتْبَعُنِـي صُـــرَاخَاتُ السَّـــيْل. أَفْـــتَحُ بَـــابَ الْجُنُـــونِ فتَجْرِفُنِـــي سَـنَابِكُ الْخَيْـل... و إِذَا عَيِيـتُ أَرْقُـدُ قَرِيـرَ الْعَـيْنِ عَلـى نَشِيدِ الشِّفَاه فِي انْتِظارِ لَغْوِ النّهارَات...

...

قلق الياسمين

أيّهـا الاِنْعِقـادُ الْمـاكِرُ في حاجِبيْهـا الهِلالـيْن. هـل أمـرُّ كريمـاً لا ألْتفِـتُ... أمْ أسـجّلُ حُضـورِي الآثِـمَ في مِهْرجـانِ الفِتنة ؟

أرَى الْمرايَـا حاسِـدة، و أرى انْسِـكابَ الْـوَرْدِ فِي وَجْنَتَيْهَـا دماً يُغازِلُ دمِي...

و أرَى الْمَوْجَـةَ حاشِـدَة، تبْنِـي فـي رَوْعِـي اشْـتِهاءً مَمْنوعـاً مـنَ العـوْم... يرْكـبُ سُـفُنَ الْـوعْرِ و يغْـرقُ مَـرّتَيْنِ فِي مِعْصمِكِ الْمرمر.

هَيّـا يـا قَلَقـاً فـي عنُـقِ الْيَاسـمِين... هـاتِ عَفْوِيتَـكَ السّـاحِرَة. ضُـمّنِي إلى يَنـاعِ الْحـدائِقِ شَـجراً عَارِيـاً مـن الطّين.

هـاتِ سُـؤالَك الْأَخْضَـرَ عـنْ سـرِّ الْعشْـبِ الْمُسْـتكين.
وعـنْ فتَـاةٍ عربيّـة ينْبـعُ الْمـاءُ في يـديْها مُـذْ وَضَـعَ الشّـجَرُ سِـرّهُ في قلْبِهـا ثـمّ اسْـتقالَ مـرّتيْن: مـرّةً حـينَ أيْنَـعَ التّفّـاحُ، و مـرّةً حـينَ سَـقَطَ الْكـلامُ يمضَـغُ الثّمَـر الْمُحـرّمَ، و يُخْفِي في صَدْرِهِ رَغْبَةً في النّزولِ الْمُبين.

...

سِيرَةٌ لِهذا التّرابِ الْمَنْسِيّ

لسْـتُ تَجْرِيـدِيّاً إلى الْحـدّ الّـذِي أرَى فِيـهِ أنثـايَ وَرْدةً مـنْ سَراب.

و لسْــتُ واقِعِيّــاً وَقِحــاً فِي مَرايَــا الرّمــادِ، حتّــى أُحــوّلَ الزّرْقةَ الْبحْرِيّةَ إلى عَطَشٍ مِنْ تُراب.

أنَـا ابْـنُ بـيْنَ بـيْن...أرْفـعُ فَـنَّ الْأحْمَـرِ إلى سَـماءِ الْعشْـب. و أُرْجِــئُ سُــكوتَ السّــوادِ إلــى حِــين تكْتَمــلُ دوْرةُ الشّمسِ فِي شَراييني.

أنـا ابْـنُ التّـرابِ الْمنْسِـيّ فِي جِعـابِ السّـنابِل. مَدْرسَـتِي الْأولى، سـكنتْ في عقْفـاتِ الْمناجِـل. لَبَنِـي الْأوْحـدُ كـانَ فجْراً بارِدا يبُوسُ وجْهَ الْحصادِ فِي عطَشِ الْمواسِم.

يرْقُــبُ السّــماءَ أنْ تُبــدِّلَ عجَــلاتِ السّــحاب فِـي عــيْنِ الْمنازِل، و فِي صمْتِ الْمغازِل.

لــمْ أظْلِــمْ يومــاً سُــنَنَ الْبســاطَةِ فِي مواعِيــدَ كاذِبَــةٍ لابْنَــةِ الْجِيــران. و لــمْ أُقَلّــمْ ظُفْــراً واحِــداً لِزمِيلَــة الْفصْــلِ السّابِع.

لــمْ أُقَشّــرْ عَيْنَيْهــا اللّامِعتــيْنِ في امْتِحــان الرّشْــد... وكنــتُ أحرُسُ قَلقَ الْأصْدِقاء فِي زَنازِينِ الْبقاء .

لــمْ أُدْرِفْ دمْعــةً سَــخِيّةً علــى بــلادَةِ الشّــتاء. صــيْفِي كــانَ نحْــواً عَرَبِيّــاً يرْفــعُ الْفاعِــلَ فِي رَمــادِ الْإشــارَة. و ينْصِــبُ الْمفْعــولَ فِي يَقِــينِ الْبِشــارَة. يمْــتحِنُ الْحــالَ و الْمُحــالَ فِي صَخَبِ الْعِبارَة. حتّى وُلِدتْ كفِّي شَاعِرَة.

حِينَها، نَبَتَتْ فِي قَلْبِي أزْهارُ الْجَسَارَة...

و الْيـوْمَ...أرْفـعُ كـأْسَ انْتِشـائِي. بـارِدةً فِي عـافِيتِي و فِي وَبـائِي. نازِحـةً مـنْ بَيَـادِرِ جَـدِّي... أشْـرَبُها قَمْحـاً مُقَطّـراً فِي هَيْئاتِ الشّجَر.

ضـوْءٌ هُنـا و ضـوْءٌ هُنـاك. والْفتَـى الْخَجـولُ خـرَجَ فَارِسـاً مـنْ قلْـبِ الْقَمَـر، يَشُـدُّ إلى بُرْتُقالِـهِ الْحَـزِينِ كُحْـلَ امْـرأَةٍ تُشْبِهُ السِّفْرَ و السَّفَر.

يُقْسِـمُ لَهـا غلِـيظَ الْيَمِـينِ أنّ النّـبْضَ شِـعْرٌ. وأنّ الشّـعْرَ رِيـــحٌ و روحٌ... و أنّ للزّجـــاجِ زَغْـــرَداتٍ تُكسِّـــرُ فـــراغَ الْهمْـسِ فِي عـيْنِ الشّـمْسِ حِـينَ الشّـمْسُ تكـونُ واقِفَـةً على شَهْوَةِ الْموْتِ فِي أسِرَّةِ الْاِنْتِظار...

و حِـينَ تكـونُ خَلِيلَتِـي مرايـايَ الْخالِصَـةَ فِي دَوْحـاتِ الْيَقِينِ تُلقّنُنِي أجْملَ الدّرُوسِ فِي فَنِّ الْاِحْتِضار...

أنثى الغيم

في يقـينِ الرّمـاد لا يحتـاج وجهـي إلى جمْـرَة. لا العـدمُ يصـوغُ عطشِـي و لا النّـدمُ شـريعتي. لا ، و لا تُرتّبُنـي في سـلالِ الْخـوفِ خبـزةٌ مدحْرَجـةٌ في سِـواكِ ثَمْـرَة. أوِ امْـرأةٌ تخـرجُ سـافِرةً مـن طلْقـاتِ العـراء. تقضِـمُ تارِيخَهـا الْأحمرَ نبيذاً يُخاصِمُ عتِيقَ الخمْرَة.

أدعـو إلى كفِّـي أنثَـى الْغـيم كـي تغْـرسَ في ثنايـا روحِـي خزامَـى الْمحارِيـب و سـنْبُلاتِ السّـجود. حتّـى إذا أذّنـتُ لصلواتِي انْثالَتْ في جوامِعِي كلّ الْحضرَة.

سموق

يــا ورقَ الصّفْصــاف الْعــالي هــل إذا ســمقتُ إليــكَ تعْصِــمُني مــن الــدّخان؟ أمِ النّهــرُ في تجاعيــدكَ أرْسَــلَ الْموجَ الْعتِيق سؤالاً في جديرِ الْإمكان ؟

هــا أنــا الْآنَ لغــةٌ مُحمّلــةٌ بالطعنــات، تعــانقُ حُطامهــا الأزرق، تُبــدّد فــي مراثِــي أرمِــدتها بعــضَ أجْنِحتــي الْممكِنة في شوارِع الْكتمان.

منادِيلُ من خُزامى

قصائِدِي الّتي لم ترحلْ بعدُ هيَ المنادِيلُ، نزحتْ من قلبِ الخُزامى، توثِّقُ لِدمْعاتٍ على وجْناتٍ... وتعْشَقُ الْبُكاءَ على كَتِفِي.

هي طُيُورٌ منْ سماواتِ سبَأ، تُرْسِلُ الْمَراسِيلَ بينَ أنفاسٍ مُهرقَةٍ على ضِفافِ الرّوحِ الْبَعِيدة. تشْرَحُ لِأنْثى الهدهُدِ سِرَّ الماءِ تحت أقْدامِ الْملِكَاتِ وَ تصْقُل تاجَها الْمَكِين منْ صَدى الوشْوشاتِ.

تنْشُرُ الشِّعْرَ مجْداً للْعُيونِ الْعسَلِيّة، تُرْسِلُ أهْدابَها فراشاتٍ و رفْرفاتٍ فِي مَرايَا الْهُدْهُدِ الْأمِين.

هَا أنامِلُها الْورقيّة تغْزِلُ اِنْتِظاري فِي مَناسِجِ السّفَر... تَعْزِلُ خَيْطَ الرّهَبِ عنْ سَدَى الرّغَبِ و تُرْسِلُ صُوفَ

الْعِشْـقِ إلى قَصْـرِ النّبِـيّ الْوَسِـيم كِتابـاً مَرْشُوشـاً بِـدمْعِ الْغَيْمِ الرّحيم.

صيحةُ الْماء

هَـا الْمَـاءُ صَـيْحَةٌ في أَصَـابِعِي الْحَجَرِيّـة. و هَـا الضّـوْءُ، سِـيرَةٌ للزّنبـقِ الْقَـدِيم. يسْـجُدُ فِي عَـيْنِ الْقَمَـر، يبُـوسُ الْمِحرابَ في عُرْسِه الْأخضَر.

يصـوغُني يقينـاً سـماوياً...يخشـعُ في معابِـدِ اِلعشـق. يحـوّل المسـاءَ إلـى نرجِسـة، و الضـبابَ إلـى نورسَـة. يغمُـرُ كـوني المشـرّد بعبـقِ العطـرِ في خرافـاتِ اللقـاء، ثـمّ يشـربنِي ارْتِشـافاً سـاحراً لكيميـاء العـينِ و كحْـلِ الْعـين حـينَ العـيْنُ تعجِـنُ بقايـا روحِـي حـدائقَ لسـيّدة القلـب، ينابِيعَ لرُضابٍ ممنوع على ظمئي الأسطوريّ.

هـا أنـا آسٌ يتـيمٌ في مزْهريـاتِ الانتظـار. وجْـدِي صـمتٌ شائك، و قلْبِي ظهِيرة بغير ظلّ...

أقـولُ فيقطـر صـدْرِي اشـتعالا في بطـون المُـزن، أصـمتُ فتحْكِينـــي الرّيـــاحُ انشـــغالا فـي غُـــرفِ الحـــزنِ دمْعـــاً تاريخيّاً يحكي حالاً و حالا...

أيّ حلـــمٍ هـــذا يرســـلِني وحيـــداً إلـى جزيـــرةِ الأجـــراس؟ الشـمسُ فيهـا عصـفورة مـن نحـاس. أجنحتهـا منامـاتٌ ناقصـــة، فيهـــا الثّغـــرُ حـــرامٌ والبكـــاءُ قـــدرٌ يزهـــرُ في يـــد الصبح... و اللّقيا كلام.

فـأيّ غصّـة هـذه تـدفع الجسـدَ إلى شِـباكِ الغـيم ؟ و أيُّ سـحابةٍ تُقِلُّنـي إلى هنـاك، كـي أرفـلَ في قصـور الاشـتهاء و أستيقظَ على صيامِ الغناء؟...

قـالَ لِي شـيْخِي و هْـوَ الْمسْـجِيُّ في مُجْمـلِ الْكُتُـبِ: صَـهٍ أيّهـا الْمخْمـورُ بِزهـرِ الْياسـمين، فـي شَـفيفِ الضّـوءِ وضَوْعِ الرّياحِين...

أغْمِـضْ نبْضَـكَ حتّـى يمـرَّ الْعِطْـرُ في خَطْوِهـا الْحـاكِي.

غُـضَّ الطّـرفَ عـن قصّـة وهْجِهَـا مـن قُنّـة رأْسِـها حتّـى أخْمَصِ الْقَدَميْن...

قلـتُ واهـاً واهـا... هـا أنـا أمـوت ثانِيـةً فِي حِضـنِها مـرّتَيْن بعْدَ أنْ نامتْ فِي كَفّي بُرْهةً أو بُرْهتيْن.

...

كفّ صفصافة

تـذْهَبُ في أمومَـةِ الشّـجَرِ مثْـلَ صفْصـافَةٍ عارِيـة، وترسـمُ في نسْغها نَشِيجَ مِياهٍ يَتِيمَة و صَرْخَةَ ريح.

هِـيَ مـنْ أهْـلِ الْورَيْقـات و الْأفْنـانِ الْمالِحَـة. تُرَتِّـبُ عُنْـفَ الظّلالِ و فَراغَ السّلالِ فِي أرَاجِيحِ الماء...

تُرْسِـلُ الثّمـراتِ فِي حجْـرِ الْأمّهـاتِ و تـدعُو لهـنّ بلَـوْنِ التّفاح.

تلْـبَسُ الْخُضْـرَةَ شِـرْعةً و تُقلِّـمُ أظـافِرَ الِانْتِظـار بأسْـنانِها الْقَدِيمَة.

هَـا سَـيّدَةُ الصّـبْرِ الْخُرافِيّ تحْـرِقُ مَنادِيـلَ الـدّخان. تُرْسِـلُ السّـماواتِ سَـفراً قَرِيبـاً لمَطـاراتِ الْيَقِـين . تُلَـوّحُ للصّابِرِين... أنْ وداعاً إلى حِين...

و أنْ لِقاءً جمِيلاً ... بَعْدَ صَهْدِ الْأنِين...

ترْجــعُ الصّفْصــافَةُ و فِـي كَفِّهــا هَــدايا... أُقَشِّــرُ ورَقَهــا الصّـقِيل... أفْـتَحُ عُلْبَتِـي مثْـلَ طِفـلٍ بَـدِيل. أجِـدُ الْمرايَـا و صَخَبَ الصّبايا... تَطِيرُ منْ جوفِها فَراشةٌ و حَكايا...

أضْــحَكُ و تضْــحَكُ الشّــجرَة. ثــمّ أعــانِقُ فِـي شَــهَواتِ الْحُقُولِ تَضارِيسَ الْغِوايَة.

...

تقْــرَأُ قَصَــائِدِي فَراشَــة، طَوِيــلٌ صَــبْرُها مِثْــلَ جَــدلٍ فَلْسَفِيّ.

تحْكِينِــي امْتِــداداً شَــقِيّاً لِطُفولَــةٍ عبْقَرِيّــة تــرْفُضُ تــارِيخَ السّــكون. تنْسُــجُ رِيشَــها الْمُضْــرَمَ عَلى قُبْلَــةِ السّــماءِ فِي قُبَلِ الْمسَاءِ.

و تُرَشِّحُ الْخطْوَ فِيهَا خارِجَ الرّمْلِ و التّراب.

تُــدْرِكُ أنّ مَشِــيئَةَ الــرّيحِ أكْذُوبَــة. و أنّ اللّهَ اخْتــارَ الصّــبِيّةَ لِامْتِحــانِ الْعُذُوبَــة. و فِي ذاكِــرَةِ الزّمــانِ أسْــكَنَها الظّــلال... أفْــرَغَ قلْبَهــا مــن كــلّ السّــلال إلا ســلّة الْكتــاب. قَرَأتْهُ قبْلَ أن يستوْعِبَ وصايَاهُ ذاكَ الشّيْخِ الْمُهاب.

أسْــكتَتْ هِمَّــةَ السّــالِكِين و أغْلَقَــتْ فِي وجْــهِ الظّــلامِ كــلّ الْأبْــواب... قَضَــمتْ مــن شَــعْرِ أمّهــا خُصْــلاتٍ ذَهَبِيّــةً

تخْتَـزِلْنَ الْجمـالَ الْمُعَنّـى و تُقِمْـنَ فِي أعْـراسِ الصّـبْر. تخْتِمْنَ جلِيلَ الْجَلَدِ بِفصْلِ الْخِطاب...

تصْـرُخُ الصّـبِيّةُ و الْهمـسُ شـيْطان. تَهْمِـسُ الْغـادَةُ والصّـراخُ بُرْهـان. و بـيْنَ الْمـاءِ والْعِرْفـانِ قالـتْ: هـاتِ يَدكَ أيّها الضّالِعُ فِي الْخُطوطِ الْغابِرَة... هات.

هـاتِ لَـوْنَ غـوْرِكَ، هـاتِ حِبْـرَكَ الْمُتَـدلِّي فِـي سَـمقِ الْخُرافَـة... أعْطِيـكَ الْيَقِـينَ أنّ قَلْبِـي مَرْتَـعٌ لِغـزْلان، و أنّ طيْشَكمْ الْعالِمَ ضَرْبٌ منَ الْعوْمِ فِي لُجِّيِّ الْبهْتان...

فـاتْرُكْ جَسَـدِي يشْـرَبُ أسْـرارَ الْـورْدة. يلْهُـو مِثْـل فراشَةٍ آبِقَة عنْ دِينِكمُ الْخسْران.

دَعْ مـا يسْـكُنُنِي يتصـالَحُ وَ صَـوْتِي. يتنـاغَمُ وسَـمْتِي. يأخُـذُ ظِلّـهُ مـنْ شَمْسِـي حتّـى يسْـتَقيمَ الصّفصـافُ شَـجَراً وارِفـاً يَخْـرُجُ إلى عَـراءِ الـرّوحِ، يرْفُـلُ فِي ذاكِـرَةٍ أخْرى غيْرِ ذاكِرَتِي...

اتْرُكــوا ذاكَ الْوَسِــيمَ فِـي جُمُــوعِ الــرّاجِلِينَ فِـي دُرُوبِ أدْغــالِي الصّــامِتَة. اتْرُكــوهُ يقْتَــرِب مــنْ فِقْهِــي الْمُتَوثّــب. يقْــبِضُ علـى شُــعاعٍ مــنْ ذَهَــب... يمْسَــحُ جَبِــينَ الرّهَــب. أسْكنُ وتسْكُنُ فِيَّ كلّ أشْكالِ الْعَطب.

هــاتِ يَــدَكَ أبَتــاهُ أقَبّلُهــا. ظهْــراً عــنْ قَلْــب، أسْــرِقُ منْهــا رِضــاكَ الْمُتَبَقّــي... ثــمّ أصُــوغُ مــنْ ذاكَ و ذَا عبَــاءاتِي، وبُرْنُســاً لِقَلْبِــيَ الّــذِي انْكَتَــبْ وعقْلِي الّــذِي لــمْ ينْسَــحبْ و روحِي الّتِي غَطّتْكَ منْ بَعِيدٍ... و عنْ كَثَب.

حالة تسلّل

تتَسَـــلّلِينَ إلـى جسَـــدِي مثْـــلَ عُصْـــفورَة بلّلَهـــا عِطْـــرُ الْمســـاء. تُرْسِـــلِينَ الرّفْرَفـــاتِ إلـى وجْهِـــي الْعاطِـــلِ مـــنَ الْعِشْقِ...

أمْسِـــكُ بـــالْفِكْرَة... و أرَتِّـــبُ أجْنِحَتَـــكِ ترْتِيبـــاً حرِيرِيّـــا مُقَدّسا يُوحِّدُنِي و الْقَمَر.

أطْلُـبُ مـنْ آلِهَـةِ الضّـوْءِ أنْ تنْبُـتَ لِي أجْنِحَـةٌ مـنْ ظِـلال. ومناقِيرُ منْ عَبَث. أسْألُ السّماءَ عنْ جُنونِ التّحْلِيق.

تُجِيبُنِـــي الْمُزْنَـــةُ و فِي يَـــدَيْها حبْـــلٌ مـــنْ أُنوثَـــةٍ غـــابِرَة ... تَقُـــولُ: ضُـــمَّ لحْظَـــةَ السّـــحابِ إلى تُـــرابِ الْقَـــدَميْن ثـــمّ اعْجِـــنْ رَغْبَتَـــك الطّفُولِيّـــة بِمـــاءِ الرّؤْيـــا... و اقْفِـــزْ فِي اتّجـــاهِ النّـــار، تجِـــدِ الْبَحْـــرَ ســـماءً و الْبَـــرّ دهـــاءً و الْبَـــرْزَخَ الْمسْدودَ جلاءً...

عُــدَّ الْخَــوافِي مــنْ رِيشِــك رِيشَــةً رِيشَــة... رُشَّ الْخَفْــقَ بِعِطْرِهــا البَــارِيزِيّ. عــانِقْ ثَغْرَهــا السّــائِلَ عــنْ قَــدَرِ الْعِنـاق. يَكـنْ لَـكَ الْمـوتُ فِيهـا قَـدَراً لَذِيـذا، و يكـونُ لـك الْعيْشُ فيها محْضَ تَفاصِيل...

أرَى غَـدي خطْـواً مَرْمِيـاً فِي ثَـرى الْغيْـب. أرَى يَـوْمِي سَطْواً عَلى انْكِسارِ النّار فِي رَمادِ هذا الْقلْب.

فـأيُّ مـاضٍ هـذا الّـذِي فَـتَحَ شَـرائِعَ الْخطْـوِ على جُنـونِ الهُـدْب... هـدبٌ يسْـحرُ الْأشْـياءَ فِي سَـرِيرَةِ السّـؤال. وهُـدْبٌ ثَـانٍ يُزغْـرِدُهُ عُـرْسُ الْبَيـاض إلى عشْـبِ السّـوادِ ولا يَنِـي يُـوزّعُ الْمـوّالَ، بَيانـاً هُنـا و بَيانـاً هُنـاكَ علـى مَقامـاتِ النِّصـال. تَعْصِـرُ خاصِـرَةَ الْحـبِّ. فيَمـوتُ فِي غِوايَـاتِ الْهجْـرِ كمـا يمـوتُ الطفْـل الصَـغِير يتَهَجّـى فِي كفِّهِ الْعاشِقَةِ وَصايَا الْخيال.

و هُـدْبٌ ثَالِـثٌ أشْـهَرَ فِي وَجْهِـي لُغَـة الشّـعاع فأحْيـانِي... حـرّكَ فِي جـوْفِي الْمُـثْخَنِ وَجـعَ الْيَـراعِ و رجْـع الْيَنـاعِ. فكُنْـتُ أنَـا السّـعيد فِي بِذْلَـةِ الْعِيـد، أرُشُّ مُحيّـا الـذّاكِرَةِ بِقَنادِيلَ منْ شُموسِ الْخِداع.

أَضَـعُها جُسُـوراً مـنْ رَمْـل، و آمُـرُ الْأفْـراسَ الشّـاهِقَة أنْ تــزْكُضَ علــى ثُغــورِ الْكــلام. حتّــى إذا رَشَــحَ اللّبــانُ وارْتَخـى فِي قَبْضَـتِي ذاكَ الْعنـان قَـدّرْتُ حجْـمَ الْحُفـر فِي غُمُوضِ الْقَدر.

غَرَسْـتُ مَعـاوِلِي الصّـغِيرَة فِي قلْـبِ التّـرابِ، أسْـألُ غـورَهُ عــنْ حبّــةِ مــاسٍ ترْقُــدُ فِـي الْغِيــاب. حَدَسْــتُ لَوْنَهــا الشّـفِيف، مَسَـحْتُ عـنْ وَجْهِهـا بَقايَـا التّـرابِ الطّفِيـف... حتّــى داعَبَــتْ أصــابِعِي بِلّوْرَهــا الْمجِيــد و أناقَتَهــا الْمُزْهِـرَة فِي أكَمـاتِ عيْنِـي الْمُـدثّرَة بِسُـنْدُسِ الْغِوايَـة وعُنْفِ الْحِكاياتِ الْمُشَفّرَة.

حَمَلْـتُ الْبِلّـوْرَة فـي قَلْبِـي، عَجَنْـتُ نُتُوءاتِهـا المُسـنّنة والْحبِيبَـة فِي خاصِـراتِ الْجُـرْحِ اللّبِيبَـة... خَـرَجَ دَمِـي مـنْ دَمِي خاتَماً على شَكْلِ فَراشَة.

حمــدْتُ اللّهَ حمْــدا و سَــكَنتْ فِـي دَهْشَــتِي الْعَجِيبَــة أعْشـابُ الْبَشَاشَـة. نظَـرْتُ إلى هـذا الْعِشْـقِ فِي يَـدِي... قَلّبْتُـهُ فِي رُوحِـي تقْلِيبـا بـيْنَ أمْسِـي و يَـوْمِي و غَـدِي

الّـذِي أضْـحى قَرِيبـا... فـانْبَرَى إلى رَوْعِـي سُـؤالُ مـنْ تكونُ صَاحِبَةُ هذا الْمَوّال ؟

حملْـتُ الْخـاتَمَ قَـدِيما حتّـى ظَنَنْـتُ الرّجـاءَ عَـدِيما. و لَمّـا انْكَسَـرَ فِي يَـدِي بعْـضُ الزّمـان وَقَفَـتْ أمـامِي فارِهَـة الْقَـدّ، يمْـتصُّ جمالُهـا الْخُرافِيّ كُـلّ الظّـلال و كُـلّ النّـارِ والنّور منْ جَنوبِ الرّوحِ إلى الشّمال.

تبْسِـــمُ و كأنّهـــا الظّبْيَـــةُ الرّنّـــاء، تضْـــحكُ فيَضْـــحكُ لِضـحْكتِها الصّـباحُ و الْمسـاء. تمْشِـي فَيَنْخَلِـعُ فِي قَلْبِـي مجازُ الذّكاء.

و لمّـا رَأتْ حَيْرَتِي مُمَـدّدةً رشَّـتْ وجْهِـي بِمـاءِ الْيَقِـين، وكانـتْ رَشّـاتُها خُرافـاتٍ مُمجّـدَة. قالَـت: هـا خاتَمُـكَ وَهـا بِنْصَرِي... قُلْتُ :و هَا الْفَرَاشَةُ تَزْهُو بِمنْظَرِ...

عيْناك

عيْنــاكِ الْجمِيلَتــان شِــعْرٌ أجْمــل، يَقــولُ خيــالاً، يقُــولُ سَراباً... و ينْسُجُ العِطْرَ هَدِيةً للنّهْرِ الظّمْآن.

...

عَيْنـاكِ حرْفـانِ سَـابِحانِ: مَـرّة فِي عَـيْنِ الشّـمْسِ، ومـرّاتٍ أخـرى فِي عَقْـلِ الْقَمَـر تَتْلُـوانِ شَـكْلَ الْمِحـراب و هُمـا نَاعِسَتان.

...

عَيْنــاكِ لا تَنامــانِ إلّا إذا نــامَ الرّمْــزُ. هُــدْبٌ لا يَلِيــق بِــهِ الْغَمْزُ. حتّى إذا غَمَزتا ارْتَدّ عنْ كُفْرِه الشّيْطان.

...

عَيْنــاكِ نافِــذَتانِ، و الْبَحْــرُ طِفْــلٌ شَــقيٌّ يُلاعِــبُ غَجَــر الشّــرْفتيْنِ... يَمــدّ الْمُقَــلَ موْجــاً، حتّــى إذا تَعِــبَ الْبَحْــرُ اسْــتَلْقَى ظَرِيفــاً يُهْــدِي إلــى السّــوادِ مَرْجانــاً و سِــفْرَ عُقْيان.

...

عَيْنـاكِ... بَـرْدٌ و سَـلام. و عَيْنـاكِ فِـي نفْـسِ الْآنِ صَـهْدٌ وَكـلامٌ وَ دُخـان. تَقْـرآنِ خَبايَـا الْـورْدِ كَمـا تَقْـرآنِ شَـكْلَ الْكونِ إذا هُو غامِضٌ و عرْيان.

...

عَيْنـاكِ... شَـجَرَتانِ صَـامِتَتان. بَعْـضُ الْخُضْـرَةِ فِيهـا ثَمَـر، و الْبَعْضُ الْآخرُ حَجر... و بَاقِي الْمَطَرْ سَحابٌ هَتْنان.

...

عَيْنـاكِ... سُـؤال كبِيـرٌ، مِثْـلَ طيْـف مُخـادِع، مِثْـلَ صـيفْ يراوغ. تَغْسِلانِ سِرّ الْماءِ فِي رمْشِ الْغِناء ثُمّ تَفِيضَان.

عيْنــاكِ لا تحْتاجــانِ إلــى أفــلاك كــيْ تــرْحَلا إلــى فكــرةِ السّــماء. خَفِّفِــي الْمجــادِيفَ مــنْ رِيــشِ النّــوارِس. واعْزِفِي لَحْنَ الْماءِ، نِكايةً في خَرَسِ الْبَحْر.

ضُــمِّي الْمَوْجَــةَ الْعارِيَــةَ إلــى صَــدْرِكِ الْخُرافِــيّ... دَثِّــرِي انْكِســارَها الْمجْنــونَ، بِتقْــوى الْقَمَــرِ، يَجــوبُ في رِحْلَتْــهِ الْيَوْمِيّةِ فُؤادَكِ النّقيّ ونقاءكِ الأطْهَر.

و حــينَ اكْتمــلَ نِصــابُ عيْنَيْــكِ كحّلْــتُ بَصِــيرَتِي بِنبْــرِ الضّــوءِ. ثــمّ رأيْــتُ، ثــمّ كانــتِ الرّؤيــا. وبــينَ الْقــبْضِ والْبسْــطِ، تاهَــتْ ضِــفافِي بــينَ خُصْــلَتَيْنِ: واحِــدَةٌ زَوّجــتِ الْغَيْمَــاتِ إلى وجــعِ الثّــرى، و ثانِيــةٌ ضَــفَرَتْ ذِراعَــايَ في سِباحَةِ الثّغْرِ و الشّفاهْ.

مــدَدتُ يَــدِي إلى رَمــادِ الرّغْــوة، قَبَضَــتْ عَلى جِسْــمِ ورْدَة. كانــتْ تغْــرق .كنْــتُ أغْــرَق. وكُنّــا لِــدمِ السّــكونِ نُهْــرِق.

نَجَوْنا مِنْ أسْطورَة الْغوْرِ و سَبَحْنا حتّى كلَّ فِينا زمَنُ النّجاةِ.

خَرَجْنا إلى مُطْلَقِ الرّيحِ... افْتَرَشْنا تَعَبَنا اللّذِيذ. بَلّلْنَا الْعشْبَ الظّامِئَ ثَمّ كَتَبْنا... كتَبْنا عِلْمَ الْعِشْقِ، كَتَبْنا فنَّ الرّشْقِ لِعَداواتِ الْقِناعِ. وَأدْنا قصَص السّوادِ، و أنْبَتْنا في مَقْعَدِنا الْمُزْهِرِ وَرْداتِ الْيَناع .

في العـامِ الألـفِ مـنْ تـأْرِيخِ الطّوفـان، وجـدْتُ عَيْنَيْـكِ خـارِجَ السّـفِينَة. فِـي الْيُمْنَـى حَمامَـةٌ و فِـي الْيُسْـرَى يَابِسَـةٌ تبْحـثُ عـنْ شَـكْلٍ لِهـذِي الْمَدِينَـة. أمّـا أنَـا... فقـدْ كانتْ قَبْضَتِي عَلى خافِقِ النّهارِ مَعْقُوفَةً و حَزِينَة.

و لمّـا أدْرَكْنـا سَـفَرَ الْمـاءِ خَلْفَنـا. حمـدْنا صَـوْلَةَ الْعُشْـبِ فِي سَـابِغِ الْعَطَـشِ و فِي سَـابِعِ دركـاتِ الرّعْـبِ. كُنّـا تؤْأماً فـي لُغَـةِ الْجمـالِ، نتوسّـدُ زِنْـدَ الظّهْـرِ و نمْسَـحُ خـدّ الْغيْماتِ بِمنادِيلِ الْجلال.

و كمَـا جُرْحُنـا، كانـتِ الْأرْضُ غـائِرةً و بَعِيـدة، و كانـتْ طَـراوَةُ دَمِنـا فِـي مُطـارَدَةِ الـرِّيحِ عنِيـدَة. قَبَضْـنا علـى مَنـاقِيرِ الْحمامَـة. رَسَـمْنا فـي أجْنِحَتِهـا رَغْبَـةَ السّـفِينَة والْمَوْجـات و حُلُمـاً لِغُصْـنِ الزّيْتونَـةِ، تُعْلِـنُ للـرّاكِبِينَ

خَبَـرَ وُصُـولِ الْفَراشَـاتِ... تـزُورُ الـدّمْعاتِ فِينـا بِهـدايَا التّرابِ النّادِر.

حفْنَـةٌ لِكـلّ قَمَـرٍ وَ لِكـلّ النّجْمـاتِ و لِكـلّ شَـرَرٍ و لِكـلّ الْمَلِكـاتِ. حتّـى إذا اسْـتوَيْنَا علـى الْقلْـبِ و ارْتَوَيْنـا، صَـلّيْنا علـى قِبْلـةِ الشّـمْسِ. ملأنَـا أُنوفَنـا عبَقـاً مـنْ شُـعاعِ الْهَمْـسِ و شَـرِبْنا... حتّـى انْتَشَـى منّـا الضّـوءُ. ثَمُلَـتْ فِينـا التّـرانِيمُ و اشْـتَعَلَ بِنـا و فينـا خَمْـرُ الْوَجْنات.

مَـا كـانَ رَبِيـعُ السّـفِينَةِ انْتِحابـا، و لا فَـتحَ كـفّ الشّـمْسِ لضـبابِ الْقُلـوبِ بابـا. كُنّـا سـؤالَيْنِ فِي مجـادِيفِ الْغَـرَقِ: واحِـدٌ غَـرَسَ الشّـجَر علـى ناصِـياتِ الْمَـوْجِ، و ثـانٍ قَلّـمَ أظـافِرَ الْمـاءِ، فسَـارَ الْمـاءُ إلـى ضِـفافِ السّـماءِ حتّـى اسْتوَى على جُودِيِّ الْغِناء.

غنّيْنـا و حمَلْنـا الْأُغْنِيـاتِ فِي تحْلِيـقِ الْحمامـاتِ. بلَغْنـا تُـرابَ الْأمْنِيـاتِ و نزَلْنـا... كـلٌّ و زَوْجٌ. نشـمُّ عبَـقَ النّجـاةِ

و تسَـاءَلْنا: أيْـنَ السّـفِينَةُ الْناجِيـة؟ و أيْـنَ نحـنُ مِـن ظَمَـأِ الأتْرِبَة و السّنْبُلاتِ الرّاجِية.

حمَلْتُـكِ و حمَلْتِنـي خـارِجَ سِـيماءِ الْقَهْـر. لنـا ماؤُنـا وثَرانَـا و سَـفِينَةٌ مـنْ شِـعْر. و حمامتُنـا الّتِـي غـادَرَتْ لـمْ تَغْـزِلْ فِـي يبَـاسِ الْبَحْـرِ صُـوفنَا. و كُنّـا عبـاءَةً نَسَـجَتْهَا كـفّ الْبَـدْرِ. دَثّرَنـا الشّـوْقُ فِي لُغَـةِ التّـوْقِ و حَلَلْنـا معـاً فِي أقْـواسِ الْفَجْـرِ... يُكلِّمُنـا الشّـعْرُ الْمـارِقُ و يَلْبَسُـنا الْغَـرَقُ فِـي دُخـانِ الْعِنـاق. يُلْقِـي بِرُوحَيْنـا فِـي خَـوابِي الْخَمْر.

الْآنَ قَـدِمْتُ و فكَّـرتُ ثُـمّ رَسَـمْتُ مـنْ أجْـلِ مُقْلَتَيْـكِ النّاعِسَـتَيْنِ لَوْحـاتٍ مـنْ ذاكِـرَةِ الـرِّيح. أسْـتَبِيحُ لَيْلَهـا الْمُنْكَسِـرَ و أُخـرِجُ نهَارَهـا الْجَـرِيح. أعْجِـنُ فِي ألْـوانِي رَمْـلَ الزّوْبَعـاتِ، و أفْـتَحُ فِـي عَـيْنِ الْبَحْـرِ ظِـلالَ الصّـبايا الْفاتِنـات. أتبَخّـرُ أنـا كَظِـلٍّ يَتِـيم و أوجِـدُكِ أنْـتِ مثـلَ وجْدٍ قَدِيم.

أَلْبَسُــكِ و تلْبَسِــينَ فِـي دُخــانِي كُــلّ الصّــهِيلِ الْممْكِــنِ، نَفَسـاً يصْـطادُ الْخُيُـولَ الْبرّيّـةَ فِي حُقُـولِ النّـارِ والْبُرْهـان. أدْعُــوكِ خــارِجَ مــآدِبِ السّــأَمِ إلـى أعْــراسِ الْحُورِيــاتِ، نُضْـرِمُ في جـداراتِ الْحَرِيـرِ رَغْبَـةَ الْأصـابِعِ حِـينَ تظْمَـأُ إلى بقَايَــا اللّيْــلِ الــرّدِيمِ. و نَعْــزِفُ مــعَ شَــيْطانِنا لَثْمَــاتِ الصّــباحِ عَلـى خــدّ الْفَراشَــاتِ الزّجاجيــةِ نَايــاتِ الْمــاءِ والسّدِيم.

كما ينامُ قُزح

فِي دَمِـي امْـرأَةٌ، و في فَمِـي أغْنِيـة قُزَحِيّـةُ الـرّنِينِ. تسْـكُبُ الْمشْهَدَ الْأحْمَرَ فِي الْوجْنَتيْن.

أعْـرِفُ أنّهـا إنْ مالَـتْ عَلـى أعْطـافِ الْكمَنْجـاتِ عَبَـرَتْ، مِثْــلَ فَراشَــة عَلــى ألْسِــنَةِ النّــار. وأنّهــا إنْ أحْرَقَــتْ أجْنِحَتَهــا فـي زَحْــفِ الرّمــادِ نامَــتِ الْألْــوانُ فِـي قَلْبِهــا الْمُثْخَنِ بالْجِراحِ... كما يَنامُ قُزَحُ فِي غَوْرِ الضّباب.

أرَى فـي الْجفْــنِ النّــاعِسِ كــلَّ مَسِــيرَتِي الْخُرافِيّــة. و أرَى فـي جـدَائِلِها النّرْجِسِـيّة سَـفَرِي الْمجْنـون. أصـابِعِي تقْـرأُ عَبَـقَ السّــوادِ فِي عُطـورِ الْعَـرْفِ كقُـرنْفُلاتٍ مُغْتَصَـبَةٍ فِي ماءٍ سَاخِن.

فَـأقْرؤُنِي طفْـلاً ذَكِيّـاً يَحْـدِسُ الْاِسْـتِعارَةَ قبْـلَ الشّـعراءِ، و يَرْفُـلُ في ثَـوْبِ الْمجـازِ و لا يرْحَـلُ إلّا مُتْرَفـاً فِي جُنـونِ السّؤال.

يـتلمّسُ صـفْقَ الْأجْنِحَـة حِـين الْفراشـاتُ تلعـبُ لُعْبَـةَ التّخفّـي عَـنْ خـوْفِ الْمَهـا النّازِحَـةِ مـنَ الْعُيُـونِ الْعَسَلِيّة.

هَـا أنـا الآنَ أعـومُ فِي الْهُـدْبِ الْوسْـنانِ. يَطْلُبُنِـي الْمـاءُ فِي فَوْضـى الْغَـرَقِ. تنْتَشِـلُني الْألْحـاظُ دمـاً زَكِـيَّ الْحُـروفِ، سَاحِرَ الْموْتِ لَذِيذَ الْاِنْتِشار.

رؤيا

فِي قلْبِي شَجَرَةٌ و ظِلٌّ
و أشْياءُ غَامِضَة.
و هُناكَ، أرَى الضّوءَ
و لا أرَى الْقَوْسَ.
و أرَى امْرأةً
تُكَسِّرُ حبّاتِ الْجوز.
و تُحْصِي الثّمَراتِ
فِي طَبَقٍ منْ رَماد...
تمُدُّ يَداً مشْقُوقَة،
تُطْعِمُنِي و لا تضْحك...
قالَ شيْخِي فِي التأوِيل:
هِيَ رُؤْيا، لا تقْبلُ التّنْزِيل.
حمَلْتُ خَيْبَتِي فِي صَدْرِي
ثمّ رَحلْتُ...
أجُوبُ مِساحاتِ رُوحِي،
أرْقُبُ الْجوابَ

و بَاهِتَ الْكِتاب.
الْغِيابُ كانَ رِيحاً حمْقاء،
تسْخَرُ منْ خَطْوِي،
و تقْرَؤُنِي جُرْحاً مَنْهُوكا...
ثمّ تُرْسِلُنِي شِبْهَ عارٍ،
إلى مِحْرابِ الْماء.
كانَ الْبحْرُ ضحْكاتٍ ضبَابِيّة
و الْقاربُ ألْواحاً منْسِيّة.
قالتِ الرّيحُ : اِرْكبْ.
قلتُ : أموتُ...
قالتْ : اِرْكبْ.
قلتُ : أغْرقُ...
قالتْ : اِرْكبْ.
و لَمّا امْتطَيْتُ صهْوَةَ الْحتْفِ، قادَتْنِي فراشَةٌ بحْرِيّةٌ إلى جزِيرَةٍ خضْراء. ترَجّلْتُ الْيابِسَةَ الصّامِتَة، ورأيْتُ... كانتْ هُناكَ، وارِفَةً مثْلَ صَفْصَافَة، أمِيرَةً بلا ظِلّ، و فِي يَدَيْها طَبقانِ: واحِدٌ يتَدلّى عِنبا. وثانٍ أقْعَرُ، يُخْفِي ويُخِيفُ و أجْدرُ أنْ يبْعثَنِي خارِجَ الْعُرْسِ... ابْتَسَمَتْ وأفْرَغَتْ كفَّيْها منَ الضّباب. وملَأتْنِي منْ حُبِّ

الشّــمْسِ. أخَــذَتْ يَــدِي، أشــارَتْ إلـى القــوْسِ... ألْــوانُ الـرّوحِ تُمَجّـدُ الْجـلال و تُرْسِـلنِي طفْـلاً نَهِمـاً فِي أعْـراسِ الْجمــال. تــذكّرْتُ أطْبــاقَ الرّمــاد و هَمَمْــتُ بالسّــؤال. قالــتْ : اِتْبَعْنِــي و لا تلْتَفِــتْ. لــم ألْتَفِــتْ... لاخَشْــيَةَ أنْ أُفْسِــدَ ســمْتَ النّبُــوءَة. و لكــنْ خَشْــيَةَ أنْ أُضَــيّعَ النّظَــرَ خارِجَ الْحُسْنِ الْمَغْموسِ فِي شَهْدِ الْوِصال.

نشيد الرّاح

قالتْ: صُبَّ لِي
منْ سُلافَةِ الْعِشْقَ قَدحا
قالَ: وجدْتُ الْإِناءَ
بِرُضابِكِ قدْ صَدَحا.
و لمّا مِلْتُ أعلُّ
منْ ترْياقِ الْمُدامِ عسلاً
أَصَابَنِي عطرُ الْجَنّةِ
و قَدْ صَادَنِي مَرَحا.
فمالَتْ منّي الرّوحُ سَكْرَى
قدْ تَرَنّحتْ فِي مَدَاهَا تَرَنُّحا.
عجِبْتُ لِلْخَمْرِ تُسْكِرُ
و هَذِي الْمُعَتّقَةُ
تُوقِظُ الْوَسْنانَ قدْ صَرُحا
فَلَيْتَنِي فِي ثَغْرِها كأْساً
ألامِسُ الورْدَ
أقْتَرِفُهُ جَبَحا

فَكنْتُ شَبِيهَ النّهار
أشْرَبُنِي على شِفاهِ النّار
و اللّهبُ لِصَدْرِي
قَدْ شَرَحا
قالَتْ: صُبَّ لِي
منْ سُلافَةِ الْعِشْقِ قَدحا
قلْتُ: الْعِشْقُ أنْتِ و الْقَدحُ أنْتِ
و ما أنا إلا شارِبٌ قَدْ بَرَحا

لا أنال حصتي

قَـدَرِي أنْ أورِدَ الرّمْـلَ إلى وجْـهِ الْبحْـرِ، و لا أنـالُ حِصّـتِي إلّا مــن مَغــارِفِ الْمــوْجِ. أسْــرِقُ الرّغْــوَةَ بعْــد الرّغْــوة. أُمَنِّــي انْكِســارَ الْمــاءِ بِأسْــطورَةٍ جدِيــدَة... لا تَحْكُمُهــا الْآلِهَــةُ، و لا يمشــطُ طرِيقَهــا بَطــلٌ خُرافِــيٌّ... تنتَظِــرُهُ ناقِضَةُ الْغَزْلِ عَلى مِقْصَلَة الْقَوسِ الْعَنِيد.

هَــا أنَــا ثَانِيــاً...أتْعــبُ و لا أُبــالِي، إنْ كــانَ الْبحْــرُ سُــؤالاً أسْودَ... أم كانَ فتْحاً لِمعارِكِ الشّكّ و الْيَقِين.

و هـا أنـا لا أُبـالِي إنْ تَشَـقّقَ الْمـاءُ، و أصـابَ جُرْحِـي بِمِلْـحِ الْمَوْجَةِ السّابِعَة.

أمُـرُّ عَلـى شَـجَرِ التّكْـرارِ يتكَسّـرُ علـى صَـخْرٍ يُقِـيمُ فِي عُزْلَـةِ الضّـوءِ و الظّـلام. يُرْسِـلُنِي حَرِيقـاً، يأكُـلُ احْتِراقَـه...

يلْعـنُ النّـارَ الّتِـي لـمْ تَرْفـعْ شِـعارَ الْحتْـفِ قبْـلَ عُـرُوجِ الرّوح...

تأكّـدي يـا سـيّدةَ الْإِشْـتعالِ أنّنـي أرْفُـضُ شَـفَقَة اللّهِيـبِ مـادامَ الْقَـنْصُ الـرّخِيصُ لا يُصِـيبُ إلّا بعْـضَ الْجسَـد. أنـا الْـبَعْضُ الْآخَـرُ، أشْـتَهِي امْتِطـاءَ المعنـى، حِـينَ الْمعْنـى يَكـونُ. و حِـينَ الْكـونُ يُرَتِّبُنِـي صَـغِيراً فِي نباتـاتِ الـدّم كَبِيراً ، لا أكْتَرِثُ لصَخَبِ الرّجْمِ...

أصِـيبُ الْعـدَمَ، قبْـلَ أنْ يُصِـيبَنِي... و أرْسِـلُ إلـى آلِهَـةِ النّهايـاتِ قَـرارَ رَفْضِـي لِلْوداعـاتِ... فأنـا كـائِنٌ مشْـرُوخٌ حتّـى النّخـاعِ. و لا غَـدَ لِي إلا مـا أرْسُـمُهُ بِيَقِينِـي الْأعْـزلِ، و عُزْلَتِي الرّمادِية.

هَـا أنَـا... أولَـدُ مـنْ جدِيـد بجنـاحٍ واحِـدٍ. أحْمَـرِ الْخـوافِي، أخْضَـرِ التّخْلِيـقِ. و سَـمائِي شَـطّبَتْ مَطَرَهـا الْبَخِيـل، ثـمّ آثَرَتْ مَوْتِي، تحْتَ جذُوعِ النّخِيل...

قَصيدَةٌ تَرْفُضُ شَكْلَ الْقَصِيد

قالَ لي: لا تُكرِّرْ نَفْيَكَ في الكَلِمات فَالصّورَةُ مُسْتَدْرَكَة.

قلــتُ: إذنْ سَأمْشِــي فـي الْمعنَــى، وَ لا ألْتَفِــتُ لِحصَــادِ الصّهِيل.

قالَ: اِقْتَرِحْ...

قلتُ: مُهْرَةٌ. و تكونُ مَعْجونَةً في النّار.

قالَ: هِيَ الْمحْنَة، حيثُ لا تنْفَعُ التّعاوِيذُ و التّعازِيم.

قلتُ: سأرْكُضُ، حتّى لا يَأْسِرَنِيَ الظّلُّ.

بَعْـدَ ذلِـكَ بِقَرابَـةِ دَهْـرٍ، تحَسّسْـتُ الْمكـانَ. لـمْ أجِـدْ إلّا مسْــبَحَةً مُعَطّــرَة و حَصِــيراً قــديماً يحْــدِسُ الكــلام وَأسْرارَ الْأمَام وَ يَحْكي ثمّ يَحْكِي بَعْضَ الْمعنى.

...

دمي لا يركض

لا يُبــاغِتُني المَــوْتُ إلّا فــي حِضْــنِ فراشــةٍ بيْضــاء. لا يُبــاغِتُنِي إلّا و دَمِــي يَــرْكضُ، مثْــلَ قُبْلَــةٍ تَفِــيضُ فــي الشِّفاهِ، و تقْرأ الْفاتِحَةَ فِي نَسْغِ الرّفْرَفَةِ الْغامِضَة.

...

أذْكُــرُ أنّنِــي فِي الْغَــدِ الْبَعِيــد، و فِي سَــالِفِ الْاِسْــتِقْبالِ أراهَــا تمْسَــحُ جَبِينِــي مــنْ ثقافَــةِ الْخَــوْفِ. بكَــفٍّ مــن حَرِيــر. ترْبــتُ عَلى صَــدْرِي مثْــلَ نَبِيّــة. تَفْــتَحُ فِي عَيْنِــي جنّــةَ اللّه. ثــمّ تَضَــعُ فِي فَمِــي قُرُنْفُلَــةً، وتسْــتغْفِرُ بِاسْــمِي منْ تارِيخِي الْقَدِيم...

...

هِــيَ الْآنَ غَزالَــةٌ ترْتَــعُ فِي الــرّوَى، تُلمْلِــمُ الْجِــراحَ الْعَتِيقَــة بِقَرْنَيْهــا الصّــغِيرَيْنِ. و تــدِبُّ علــى مسَــاحاتِ الــرّوحِ بحــوافِرَ مــنْ قُطْــنٍ. تمْشِــي غُضُــوفاً و تمِــيسُ مثْــلَ النّسائِم ...

تقْتَلِعُنِـي مـن حُزْنِي، مـن فَراغِـي و مـنْ وَزْنِي. تُرْسِـلُنِي أثِيـراً بِـلا قَـدَميْن. أذْرَعُ السّـحابَ مُخْتـالاً، و أقْتَفِـي أثَـرَ الْقُبَلِ الْقَدِيمة...

...

تُبُوسُـنِي الْغزالـةُ، وعَلـى كتِفِـي ترسُـمُ فراشـة، فأُبْعـثُ طـائِراً غَرِيبـاً بمِنْقـارٍ مـن ذَهَـب. أحلِّـقُ فِـي عَيْنَيْهـا الكَحِيلَتـيْنِ، و أعْـزِفُ ألحـانَ الـذّهولِ علـى أوتـار السّماء.

...

أمـوتُ الآنَ قَرِيـرَ الـرّوح. أخْتَصِـرُ الْبِـداياتِ و النّهايـاتِ وكـلَّ تـارِيخِي الْمنْسِـيِّ فِـي سَـرِيرِ الْهَمْـسِ... تُلَقِّنُنِـي الشّـهادَةَ، و تُرْسِـلُنِي فِي مقْبَـراتِ الضّـوْءِ شَـهِيداً، ابْـنَ الشّمْسِ.

...

لبْلابَةٌ غَجرِيّة

مثْلَ لبْلابَةٍ غَجرِيّة
تتسَلّقُ عَيْنِي
تمْشِي في فَرَحِي الْوسِيم.
...
تمشطُ شَعْرِي الْافْتِراضِي،
ثمّ تغْرِزُ فِي قُنّتِي الظّامِئَة،
ورْدَةَ السّدِيم.
...
أُزْهِرُ أنَا
مثْلَ صَدْرِ صَبِيّ،
عشِقَ ابْنَةَ الْجِيران.
و اكْتشَفَ بعْدَ حِينٍ،
أنّ الْموْتَ فِي منَادِيلِها الْمُلوّحة

قَرارٌ سَلِيم.

...

كنتُ قبْل قُبْلَةِ اللّبْلابَة،
صُبّاراً يهْوى الصّمت،
يأكلُ منْ عجِينِ الشّمْسِ
كعْكاتِ الْعُزْلَة،
مغْموسَةً فِي ماءِ الْحَنِين.
كانَ الطّينُ صَديقي المُفَضّل...
و الصّباحُ ماسِكَ أسْرارِي الْوَرْدِيّة.
اللّيْلُ كانَ فَاضِحِي.
و أنتِ كنتِ المُتواطئَةَ اللذِيذَةَ،
تُقَشِّرينَ بَعْضَ رُوحي
فِي آنِياتِ الْجُرْحِ الْكَلِيم.

...

لمْ أكُ أدْرِكُ حِينَها
أن الشّمْسَ تمُدّ لكِ كفّاً
و تسْتجْدِي منْكِ
بعْضَ الْحِنّاء،
حِينَ يُعرِّي أحْلامَها

فصْلُ الشّتاء.
كانتْ تفْرَحُ مثْل طفْلة،
بزخْرَفَةِ بِنْصَرِها الْمُشْتعِل
في رقْصَة باقِي الأنامِلِ،
حِينَ الْأنامِلُ
تتزَوّجُ شكْلَ الْفراشاتِ،
و حِينَ الْفراشاتُ رسَائِلُ،
تقْدَحُ دَمَ النّدِيم.
...
و كنتُ أنا ذلكمُ النّديم
أُمَهِّدُنِي لِعذابِ أسْطورَة.
أرْحلُ فِي تفاصيلِها،
أرْكبُ الْموجَ والضّبابَ
مثْلَ أولِيس
لا أشْكو منْ ظَهرِي الْمكْسُور،
لا تقْهَرُنِي الْأسْوارُ الْمنِيعَة،
و لا الْمرايَا الْغادِرَة
و لا هَدايا الْخدِيعَة.
كنتُ ذاكَ الْفارِسَ المنتظر،

أُرمِّمُ جداراتِ الْحبِّ الرّدِيم.

...

أعْرِفُ أنّ امْرأةً

صَاغَ اللّهُ رُوحَها

منَ الْغيْمِ والزّعْتَر.

حتّى إذا عطِشَتْ رُوحِي،

كانتْ لِي نِعْمَ الْكوثَر.

و كنتُ في عَيْنَيْها

ذاكَ الطّفْلَ الْمحْظُوظَ

بِقِطْعَة السّكَّر.

و كانتْ لِي قَصِيدةً

أنْثُرُها فَخُوراً

على مسامِعِ الْقَمَرِ الْغَرِيم.

...

نَرْسُمُهَا

يَرْسُمُهَا الْقَمَرُ ضَوْءاً،
تَهْطِلُ مِن رُوحِهِ غَيْمات.
ترْسُمُها الشّمْسُ شُعاعاً
يُرَمّمُ فِي الْوَجَعِ نَايَات.
تَرْسُمُهَا كَفّي أَيْقُونَةً
تَشْرَبُ فِي الْجَمالِ كُلّ الْغَايَات...

أنا...

حبراً يدرفني الليل إلى الصباح...
وروحي حورية، تمارس فن العراء...
تحدثني مقاماتٌ حلّاجيةٌ
أنِ اعْبثْ
أيها المشتعل بالأقفال.
وانتهك كل الحجرات.
فما وراء الباب
سوى الهمسات،
وأسرار الظلام الجميله.

طين...

الْيوْمُ لِي.
وغَدِي قِمَطْرٌ مُغْلَق...
رُوحِي أَمْواجٌ، دَورَاتٌ، مسَافاَتٌ...
وجَسَدِي هَباءٌ ثَقِيلٌ.
أمّا اِسْمِي
فَهُوَ طِينٌ مَدَنِيّ
...

صفصافة تلعب الحصوات

...

و لقَدْ أدْرَكْتُ الصّفْصَافَةَ

فِي زَمَنِ الشُّرُودِ.

تُقَلِّمُ أضافِرَها

غيْبَةً عنِ الشّهُودِ.

تقْضِمُ خُضْرَتَها الْوَسِيمَة

سِرّاً... و جَهْراً

تَبْسِمُ وُرَيْقاتُها

للْغَدِ الْمَوْعودِ.

يَزْحَفُ الْخَرِيفُ ماكِراً

يُغْوِي ظِلَّها.

تَبُوسُ فِي حُمَّى اللّحاء طَلَّها...

و تجْلِسُ الْقُرْفُصاء
تلْعَبُ لُعْبَةَ الْحصَواتِ
فِي تُرْبٍ تَرْوِيهِ أجْملُ الْغاداتِ
بِكحِيلِ الْعُيُونِ
و مُشْرَقِ الْوَجْناتِ.
...
تأكُلُ منْ ماضِيها
بَعْضَ الشّعاعِ.
و الْبعْضُ الْباقِي
تَضُمُّهُ إلى صَدْرِها الْمَنّاع.
تُرْسِلُ الْوَجَعَ عَارِياً
إلى قارّاتِ الضّوْءِ.
تَهْزأُ بِتاجِ الْمَرارَة
و تُضْرِمُ فِي سَوادِ الْقَرْحِ
نارَ الْإِنْتظارِ و الْيَناع.
تسْخَرُ منْ حِكاياتِ الْبَوار
تَعْشَقُ الرّبِيعَ و الْوِلاداتِ
و السُّباتَ الشّتْوِيّ
و ضَحِكَ الْغَيْماتِ

و مداعَبَةَ الرّيحِ
و عناقَ الصّبْرِ الْجَرِيح
فِي لُغَةِ الْماءِ
حِينَ الْماءُ يسْبُلُ لِعَيْنَيْها
مَواعِيدَ خَمْرِ اللّيْلاتِ.
...
هَا حِكايَاتُ الْوَجَعِ
تنْسَحِبُ منْ رَكْضِ الْأفْنانِ
فِي سَماواتِ الرِّضَى
بِقِسْمَةِ الدّيّانِ.
و هَا الصّفْصَافَةُ
تكْبُرُ جَدِيرَةً بالْسّؤالِ
فِي عُنْفِ الْبُرْهانِ.
تَغْمِسُ سِيقانَها الْمرْمَرِيّةَ
خشْيَةَ الْموْتِ...
فِي لَهْوِ النّهْرِ الْوَسْنان
تعْبَثُ بِالدّوائِرِ الْقُزَحيّةِ
قُزحُ منْ شَوقٍ
و قُزَحُ منْ ذَوْقٍ...

و قُزحُ يتلاشَى بُخاراً
رَشِيقَ السّفَرِ
فِي تَهَدُّلِ الرُّوحِ
حِينَ الرُّوحُ تُغَنِّي
رَقْصَةَ الْغَدِ الرّنّانِ.

...

و لَقدْ أدْرَكْتُ الصّفْصَافَةَ
تَرْكُضُ فِي حِجْرِ الْجدِّ
تُداعِبُ لِحْيَتَهُ الْخَصِيبَة
بِأنامِلَ عَجِيبَة
قَدّها غَدٌ معْشوقٌ
و زَانَها خاتمٌ
خُرافِيٌّ مرْشُوقٌ
صَوْبَ الْغمامِ.
تُقبّل جَبينَ الْجدّة
بأكْمام الْيَاسَمِينِ و الْوَرد.
تُشْعِلُ فِي قلْبِ الصّبايَا
لحْنَ الْغزالاتِ
و ركْضَ الْفراشَاتِ.

تغْرِسُ فِي خُدُودِهنّ
أجْملَ الْحُمْرَةِ و الْهدَايا...
تَحوكُ فِي وصْلِ الْبُدورِ
ليْلاً فِي جلَساتِ الخُدورِ
أعْرقَ الْحكايَا.
و تمْسَحُ بظِلّها الْمجنونِ
عَطَشَ التّرابِ
حِينَ التّرابُ يشْتاقُ
إلى حَدِيثِ الْمَرايَا.
...
و هَا الصّفْصافَةُ
تُرْسِلُ الْوجَعَ ورَقاً ذابِلا.
لا يرْجِعُ...
و ترْجِعُ الصّبِيّةُ الْذكِيّةُ
رَبِيعاً لِشتاءٍ برّيٍّ
عاشَ رِوايَتَهُ
غيْثاً وابِلا.
...

...

أَمُـرُّ عَلَـى مَجَـازِ هَـذا اللَّيْـلِ انْهِمـاراً لِشَـوْكٍ يَصُـوغُنِي شَـجَراً مَجْنُونـاً، بَاهِـتَ الصُّـرَاخِ، مَعْقُـوفَ الْأَحْـلامِ، فَقِيـراً منْ حِصّةِ الْفَراشَات.

وَحْـدَهُ الضَّـوْءُ، كَـانَ يُعَـرِّجُ سَـجّاداً فَارِسِـيَّ الـرّنِينِ عَلَـى أَعْتَابِ السّمَرِ الْأَخِير.

لَـمْ يَجِـدْ بَـرَداً عِنْـدَ بَائِعَـةِ الشّـفَاه. وَ وَجَـدَ الظَّمَـأَ سَـيِّداً. فَمَـنْ يَسْـقِي هَـذا الاِمْتِـدَادَ الْمُتَـرَنِّح فِـي تَضـارِيسِ الـرُّوح؟ مَـنْ يَنْجُـرُ لِعَيْنَيْـكِ مَزامِيـرَ قَـدَّهَا الْقَصَـبُ مِـنْ شُرُود ؟ ...

النَّايَـاتُ عَشِـيّاتٌ مُذَهّبَـة بِـالْقَوافِي الْحَزِينَـة، وَالْجُـرحُ بَنَفْسَـجٌ يَتَقَاسَـمُ الْأَلْـوَاحَ وَالْوَصَـايَا، لِنُبُـوءَةٍ عَـابِرَة مِـنَ الحَـدْقَاتِ إِلـى تُخُـومِ الْجَسَـدِ الْبَحْـرِيِّ... غَـابَ خَلْـفَ سَـدِيمِ الْوَجَـع، يَـرْقُصُ مَـذْبُوحاً عَلـى صَـفِيحِ الضّـبَابِ... يَشْـرَبُ عَطَـشَ النَّـوارِسِ الْمُنْكَسِـرة. وَ فِي مَرَايـا الْقَلْـبِ يَنْحَنِـي الْخَطْـوُ لِسَـيّدَةِ الْخَطْـوِ، تَقْتَفِـي لَـوْنَ السّـمَاء وَتُـرَاوِغُ فِي رَيْـثِ الْغَـزَالَاتِ أَصَـابِعِي وَ الضّـوْءَ وَ عَبَـثَ الْفَرَاشَات.

...

نظمـتُ القصـيدة بقريـة "ماكْرَمَـانْ"

جنوب المغرب، شتنبر 1998

فهرست القصائد

إضاءة	5
غزلية تليق بك	7
حافية على ضفاف قافية	9
هودج الماء	10
ترنيمة العينين	12
شجرة راقصة	13
أنا طبيعي	15
عن طُهر قلب	16
كيف دمي يشيخ	18
قبلة استثنائية	19
مدىً أزرق	20

شعاعٌ مدلّع	22
جهاتي الأربعة	24
تأويل الريح	25
عناق	27
تماثيل	29
شرةق الروح	31
مثلَ دخان	32
آخر موجة	33
لشرودنا عنوان	34
وسن	36
وجد الواصل في خديه	37
هي كما وصفها الليل	38
هو في عينيها	39
سمراء	40
نزهة الإشارات	41
قلق الياسمين	42
سيرةٌ لهذا التراب المنسي	44
أنثى الغيم	47
سموق	48

مناديل من خزامى	49
صيحة الماء	51
صهٍ صه	53
كف صفصافة	54
صرخة أيقونة	56
حالة تسلل	59
خاتم الفراشات	61
عيناك	64
رماد الرغوة	66
على خافق النهار	68
كما ينام قزح	72
رؤيا	74
نشيد الروح	77
لا أنال حصتي	79
قصيدة ترفض شكل القصيدة	81
دمي لا يركض	82
لبلابة غجرية	84
نرسمها	88
أنا...	89

طين... 90
صفصافة تلعب الحصوات 91
ما كُرمان 96

الْيوْمُ لِي ...
وغَدِي قِمَطْرٌ مُغْلَق.
رُوحِي أَمْواجٌ، دَورَاتٌ، مسَافاَتٌ.
جَسَدِي هَباءٌ ثَقِيلٌ.
أمّا اِسْمِي
فَهُوَ طِينٌ مَدَنِيّ.